د.خديجة حيدر نوري

1

**الفصل الاول**

**مقدمة الى علم النفس المعرفي**

**مقدمة:**

منذ اكثر من الفي عام اهتمت البشرية بالمعرفة وعمليات الانتباه والادراك والتذكر

والاستيعاب وانشطة الفكر المختلفة والتي بدأها اليونانيون امثال افلاطون وارسطو وكذلك

المسلمون وتواصل الاهتمام بها من قبل الفلاسفة والمفكرين خلال القرون المتعاقبة

.وبعد ان استقل علم النفس عن الفلسفة) 1879 (اتخذ البحث في هذه المواضيع مناحي

مختلفة حيث ركز العلماء والباحثون على هذه الموضوعات تبعا لاختلاف ط ا رئق البحث

النفسي عن ط ا رئق البحث الفلسفي لان المعرفة ومعالجتها واكتسابها وتخزينها وتنظيمها

وتطويرها وتوظيفها والاستفادة منها تشكل الاساس الذي يحكم النشاط الانساني. لذلك

فعلم المعرفة هو علم يهتم بد ا رسة بنية العمليات العقلية الذكية وانشطة التفكير والمعالجة

المطلوبة في الاد ا رك والتذكر وحل المشكلات وآليات اج ا رء هذه العمليات

وتنفيذها.ويشكل مصطلح المع رفة المظلة لجميع العمليات المعرفية العليا.فالاهتمام بها

ليس مقصو ا ر على علم النفس المعرفي فحسب,بل تشارك فيه عدة تخصصات اخرى

مثل علم النفس العصبي والفسيولوجي والطب والبيولوجيا وعلوم الاتصالات والحاسوب.

ولقد وضع نايسر Neisser تعريفا لعلم النفس المعرفي بانه يعنى بجميع العمليات

العقلية التي يمارسها الفرد عندما يستقبل المعلومات ويعالجها ويرمزها ويخزنها ثم

يسترجعها عند الحاجة. ولهذا فأنه يتضمن مدى واسعا من العمليات العقلية ابتداءا من

الاحساس والاد ا رك وعلم الاعصاب والتعرف على النمط والانتباه والتعليم والذاكرة وتكوين

المفاهيم والتفكير والتخيل واللغة والذكاء والعواطف وعمليات النمو المعرفي,فهو بذلك

يمس جميع جوانب النشاط الانساني بمختلف اشكاله ، فلعلم المعرفة استخدامات تطبيقية

كثيرة مثل مماثلة العمليات المعرفية بالحاسب الالي والتحليلات المنطقية.بينما يعتمد علم

النفس المعرفي بشكل كبير على الاساليب الفنية التجريبية التي نمت كثي ا ر في المجال

د.خديجة حيدر نوري

2

السلوكي في علم النفس بهدف د ا رسة السلوك.ان د ا رسات وابحاث ابنكهاوس

Ebbinghous ( 1909-1850 ( في مجال كيفية حدوث العمليات المعرفية لتفسير

السلوك الانساني لها دور في تاسيس علم النفس المعرفي كفرع من فروع علم النفس فيما

بعد,اضافة الى اعمال جان بياجيه Piaget حول النمو المعرفي لدى الطفل.

وقد ت ا زيد نمو علم النفس المعرفي سريعا اعتبا ا ر من 1950 اذ ظهر مصطلح علم

النفس المعرفي في د ا رسات بلاك و ا رمسي في كتاب )الاد ا رك مدخل الى الشخصية(.

وفي عام 1953 تعرض غاردنر Gardener الى تصنيف الاساليب المعرفية التي

تطورت فيما بعد.

كما اشار كل من كيكان Kegan وموس Moss وسيجل Sigel عام 1963 الى ان

الاسلوب المعرفي هو اسلوب الاداء الثابت نسبيا الذي يفضله الفرد في تنظيم مدركاته

وتصنيف مفاهيم البيئة الخارجية .

فبواسطة الد ا رسة المعرفية يتطلع علماء النفس المعرفي الى فهم الممارسات اليومية

لمختلف الانشطة بصفة مستمرة حيث تشترك فيها العديد من العمليات المعرفية

مثل:الانتباه,والاد ا رك,والتفكير,والتذكر,وحل المشكلات,والتعلم والعمليات الارتقائية.

لقد نما علم النفس المعرفي وتطور س ريعا في بداية الخمسينات ،لكن البدايات

الحقيقية كانت بعد ظهور كتاب نايسر Neisser1967 بعن اون علم النفس المعرفي

الذي تلى كتاب اندرسون وزملائه عن العمليات المعرفية الذي صدر عام 1964 .ثم ظهر

علم جديد شبيه بعلم النفس المعرفي يسمى العلم المعرفي Cognitive Science

عام 1991 ,واشار سولسو في كتابه علم النفس المعرفي Cognitive Psychology انه

علم يشمل ثلاث مجالات عي:علوم الحاسوب,والعلوم العصبية,وعلم النفس المعرفي.

اما التطور الذي اعتبر بمثابة الثورة المعرفية كان في الثمانينات من القرن العشرين.وهو

ما عبر عنه هاورد غاردنر في كتابه)تاريخ الثورة المعرفية 1985 ( موضحا فيه نواة هذا

العلم الذي يضم علم النفس وعلوم الحاسوب والربط بين المجالين عن طريق التقنيات

المعلوماتية يتم بواسطة ما سمي بالمعرفية.

د.خديجة حيدر نوري

3

ويرى هنت Hunt 1989 ان تعريف علم النفس المعرفي هو:الد ا رسة العلمية التي

تحاول فهم طبيعة الذكاء الانساني والكيفية التي يفكر بها الانسان.

ويوضح سولسو Solso1991 ان موضوع علم النفس المعرفي هو الد ا رسة العلمية

للكيفية التي نكتسب بها معلوماتنا عن العالم,والكيفية التي تتمثل بها هذه المعلومات

وتحولها الى علم ومعرفة,وكيفية الاحتفاظ بها واستخدامها وتوظيفها في اثارة انتباهنا

وسلوكنا.

ان لهذا العلم ماضي قريب ولكنه بالوقت نفسه له بدايات قديمة,وسوف نتعرف فيما

يلي الى تلك البدايات.

**بدايات علم النفس المعرفي:**

بدأ الاهتمام بالمعرفة الانسانية منذ عهد الاغريق من خلال مناقشتهم لطبيعة واصل

المعرفة كأفلاطون وارسطو وكانت هذه المناقشات الجدلية فلسفية في المقام الاول من

حيث طبيعتها ,وكان الموقفان المفس ا رن لها يعب ا رن عن التجريب والفطرية.

وخلال القرون السابع عشر والتاسع عشر اشتد الجدل بين الفلاسفة الانكليز حول

النظرة الواقعية للملاحظة والتجريب وبين الطرف الاخر من الفلاسفة المؤيدين لوجهة

النظر الفطرية,وكانت هذه المناقشات تقوم على اساس فلسفي,واستمر الجدل والمناقشات

الفلسفية مدة طويلة تطورت خلالها علوما بشكل ملحوظ مثل الفلك والطبيعة والكيمياء

والاحياء الا ان هذا التطور لم يصاحب اية ملاحظة لتطبيق المنهج العلمي لفهم المعرفة

الانسانية ولم يجد هذا الفهم مكانا حتى نهاية القرن التاسع عشر حيث كان يبدو قبل

ذلك ان الطبيعة الانسانية غير قابلة للتحليل العلمي,وكان علم النفس المعرفي يتمركز

حول الذات والاساطير والابحاث المشوشة نحو طبيعة النفس البشرية .وخلال اكثر من

مئة عام الاخيرة تم الوقوف على ان المعرفة الانسانية يمكن ان تكون موضوعا للد ا رسة

العلمية اكثر من كونها تأملات فلسفية.

ففي المانيا اسس فونت عام 1879 اول معمل لعلم النفس وكان هذا العلم هو علم

النفس المعرفي مقارنة بالفروع الرئيسية الاخرى لعلم النفس,وقد استخدم فونت وتلاميذه

د.خديجة حيدر نوري

4

وجانب كبير من علماء علم النفس طريقة الاستبطان وهي طريقة منهجية ,وكان

الفاحصون من ذوي التدريب العالي المستوى يقدمون التقارير عن مضمون الشعور لديهم

)محتويات وعيهم( من خلال ظروف او شروط تجريبية مضبوطة بعناية و دقة , وقد

أسس فونت مبدأ م ا رقبة الذات self-observation ، حيث يتأمل الفرد ما يدور بداخله

من عمليات عقلية ثم يقوم بوصفها فو ا رً وبشكل مباشر دون أي تأخير وقبل ممارسة أية

أنشطة أخرى خارج موضوع التجربة. وكانت الاعتقادات السائدة في ذلك الوقت أنه

ينبغي إخضاع محتويات العقل والعمليات العقلية للملاحظة الذاتية. ولذا فإن التفسي ا رت

التي كانت تقدم للعمليات المعرفية ، هي ملاحظات تم التوصل اليها من خلال التقارير

الاستبطانية.

لقد انشعل علماء النفس الامريكين الاوائل بما اطلقوا عليه اسم )الاستبطان( لان

علم النفس الاستبطاني لفونت لم يكن مقبولا بدرجة كبيرة في ام ريكا, وان الاستبطان

لدى الامريكيين لم يكن بمعنى التحليل الدقيق والمكثف لمحتويات الذهن كما فعل

الالمان , فانشغل العديد من علماء النفس الامريكين في ذلك الوقت بموضوع التعليم كما

ان الحاجة كانت موجهة الى علم نفس الطفل.

وفي اوربا قدمت المعامل )المختب ا رت( انماط اً مختلفة من تجارب الاستبطان بالوقت

الذي كان يتم فيه تجاهل عملية الاستبطان خلال القرن التاسع عشر , وقد بدا واضحا

من تجارب المعامل المختلفة ان هذه الطريقة لاتعطي رؤية واضحة بالنسبة للاعمال او

العمليات التي تتم في الذهن ولم يكن الكثير من الاعمال المهمة في الوظائف العقلية

اوضحة نسبة للخبرة الشعورية.. وفي القرن العشرين ولعدم الصلة والتناقضات الواضحة

في طريقة الاستبطان .,وبسبب هذين العاملين فقد تم بهما وضع الاساس العملي للثورة

السلوكية في علم النفس الامريكي . تلك التي حدثت عام 1920 فقد بدأ جون واطسون

وعلماء نفس سلوكيون اخرون هجوم ا على الاستبطان وعلى كل محاولة لتطوير نظرية

عن العمليات العقلية واعتماد السلوكية في اهتمامها بصورة كاملة بالسلوك الظاهر وعدم

محاولة تحليل الاعمال او العمليات الذهنية التي تقع و ا رء هذا السلوك.

د.خديجة حيدر نوري

5

لقد خلى البرنامج التجريبي السلوكي لمدة 40 عاما من أي بحث جاء في المجال

المعرفي، وتم استبدال التعلم الانساني بالتعلم الحيواني، وصار التركيز منصباً على

الكشف عن المبادئ التي تحكم التعلم الحيواني ومن ثم استخدامها في تفسير التعلم

الانساني ،وقد تم أكتشاف الكثير من المبادئ، ولكن القليل مما تم اكتشافه يتناسب مع

علم النفس المعرفي.

لقد كان علم النفس المعرفي يمثل موضوع ا نشط ا في البحث في المانيا وقد فقد الكثير

منه عندما هاجر عدد من علماء النفس الالمان الى امريكا وجلبوا معهم نظرية الجشطلت

وكان عالم النفس الامريكي تولمان الذي شارك بكثير من الافكار عن علم النفس

المعرفي الحديث ،يقوم ايضابتجاربه على تعليم الحيوانات وتحدث بلغة السلوكية

,واستطاع علماء النفس السلوكيين الامريكان ان يتناولوا مثل هذا الموقف والتمسك به

على المدى الطويل لان الاستبطان اثبت انه لايعتمد عليه في الثبات ,ان ذلك لايعني

انه من المستحيل تطوير نظرية للبناء العقلي الداخلي وعملياته, ومع ذلك فان بناء

نظرية في البناء الداخلي تجعل من فهم الكائن البشري اكثر سهولة , وشهد علم النفس

المعرفي خلال الجزء الاخير في القرن العشرين ان تحليل العمليات الفكرية المعقدة

ضروري ا وايضا الفروض الخاصة بالبناءات العقلية والعمليات الخاصة بها.\_\_